مقدمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على نبيه وعبده..

وبعد،،

فبنظرة فاحصة لسنة سيِّد المرسلين -عليه السلام- نجد أنَّ ما نُقل إلينا من سنَّته الفعلية هي أَوسع وأشملُ مما أُثر عنه من السنن القولية، وفي هذا ملمح لكلِّ ذي بصيرة: أن مشهد القدوة أبلغ وألزم في إيصال الرسالة التي يحملها الإنسان، وأن أثرها في العقول والقلوب أعظمُ من مجرد الدعوة إليها باللسان فقط..

ولما لحملة القرآن من حق عظيم، بادرت مجموعة آيات للإعلام القرآني بإجراء حوار مع عَلم قرآنيٍّ -نحسبه والله حسيبه- اشتُهر بتفسير كلام الله، مع ما حباه اللهُ من قوة الحفظ، وجودة العبارة، وجمال المنطق.

رغبة للاهتداء بسير أهل القرآن، واقتفاء أثرهم، فكان هذا

السِّفر الذي بين يديك، والذي حوى ترجمة لفضيلة الشيخ صالح ابن عواد المغامسي، مفسر القرآن الكريم، وإمام وخطيب مسجد قباء بالمدينة النبوية.

وذكر طرف من تجربته مع كلام الله عز وجل، ثم ختم الحوار بذكر مسائل متفرِّقة متعلقة بأحكام القرآن الكريم وتلاوته وحفظه وما يتصل به..

سائلين الله أن يجعلنا من أهل القرآن الذين يتلونه حق تلاوته.. إنه رؤوف رحيم.

المُعد

nasser@ayaat.com.sa

* * *

الشيخ صالح بن عواد المغامسي

* إمام وخطيب مسجد قباء بالمدينة النبوية.

* عضو هيئة التدريس بكلية المعلِّمين بجامعة طيبة.

* أمين لجنة الأئمة بالمدينة النبوية التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

* مدير مركز بحوث ودراسات المدينة النبوية.

* محاضر في المعهد العالي للأئمة والخطباء بجامعة طيبة.

* عضو هيئة التوعية الإسلامية في الحج.

* عضو لجنة التحكيم في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

* مشرف تربوي في قسم اللغة العربية بإدارة تعليم المدينة النبوية.

* المشرف العام على موقع الراسخون في العلم.

alrasekhoon.com

ترجمة شخصية

فضيلة الشيخ صالح -بارك الله فيك-:

عَلِمْنا أن تَخصُّصَكم في اللغة العربيَّة، فمتى وكيف بدأتِ العلاقةُ بينك وبين كتاب الله؟

العلاقةُ قديمة قبل التخصُّص، وأنا لا أذكر تاريخها الآن؛ بمعنى: أنَّني لم أنشأ في حلقات التحفيظ، ولم أَجلس يومًا في حلقةِ تحفيظٍ؛ لأنَّه عندما كنا في زمن الصِّبا في التسعينات الهجرية، لم تكن حلقاتُ القرآنِ موجودةً في المساجد، كانت موجودةً في الحرم النبويِّ الشريف، ولم تكن منضبطةً، بل كانت الحلقاتُ آنذاكَ تعجُّ بالكثير مِنَ الأخلاطِ من الطلابِ، وهي ليست أكثرَ مِن تجمُّع، وليست حلقةً منضبطة مهذبةً كما في الحلقات المعاصرةِ في المساجد، فكانت العلاقة مع القرآن في البيتِ.

وقد كان الوالدُ رجلًا دينًا محافظًا جدًّا، فقد كان لا يفوته فرضٌ في الحرم، وكان يقرأُ القرآنَ كثيرًا، ولم يكن يُحسِنُ قيادةَ السيارةِ، فكان يذهب للحرمِ ماشيًا، ومن باب الخوفِ على أَبنائِه، كان لا يريد أَن يُكثر مِنَ الدخولِ والخروج.

لكن كثرة التردُّد على الحرمِ جعل الإنسانَ يتعلَّقُ بإمام الحرم الشيخ عبد العزيز بن صالح، فنشأت فكرة قراءة القرآن بتقليد صوت الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله رحمةً واسعة، دون أن يعلمَ الإنسانُ ماذا سيَكتبُ اللهُ له.

واستمرَّت العلاقةُ بحفظِ ما يستطيعُ الإنسانُ أَن يُصلِّيَ به للناس، حتى درستُ في المعهد العلميِّ، وفي المرحلة الثانوية كنتُ أُلقي كلماتٍ بعدَ الصلاةِ في المعهد، مما جعلني أقرأُ في شتى الفنون.

وكنت أقرأ في كتب التفسير التي كانت دائمًا موجودةً، وأتعلم مما أسمعه مِن أَساتذتنا في المعهد نفسه، وأنا أتكلُّم هنا عن الدراسة الرسميَّة المحضة، لا الحلقات العلمية عند المشايخ.

ثم بعد ذلك التحقتُ بكليَّة التربية، قسم اللغة العربية؛ لأَنَّني كنتُ أَحفظُ الكثيرَ من الشعر، وكانت بعضُ الكتب في البيت، وكنت

أُطالِعُها كثيرًا منذ المرحلة الابتدائية، مثل «موطأ الإمام مالك»[1]، ثم بعد ذلك في المرحلة الجامعية كان لنا أَقرانٌ نغدو معهم، وكنت أُقَدَّمُ أحيانًا للصلاة، سواء في مسجد الكليَّة، أو ملتقيات الأقران والزملاء، ولما كان الصوتُ قريبًا من محاكاة صوت الشيخ عبد العزيز بن صالح؛ كان الناسُ يقدمونني حتى لو كان في الحضور مَن هو خير منك -وكلُّهم خيرٌ مني-، فكنتُ أَخلطُ هذا مع كثرة القراءةِ في شتَّى فنون العلم.

ثم ذهبت إلى الكويت في عام (١٤٠٤هـ)، ممثلًا للجامعة في المسابقات الثقافية، وهناك كتبَ اللهُ -جل وعلا- أن يكون لي بعضُ الظهورِ؛ لأنني لم أكن أطالعُ الورقَ إذا كتبتُ، ونَجَمَ عن هذا: أنَّني لم أَمكث في الكويت سوى أسبوعٍ أو أسبوعينِ، وعدتُ إلى المدينةِ، وكنتُ ما زلت طالبًا وقتها، حتى تخرجتُ في عام (١٤٠٥هـ)، ووقتها عرفتُ أنَّني أَملكُ حصيلةً ثقافيَّةً متقدِّمةً -بفضل الله-، وأنَّ

---

(١) قراءة الشيخ لموطأ الإمام مالك ليست من باب النصيحة لطلاب العلم على البدء به، وإنما الأصل أن يبتدأ طالب العلم بمنهجية علمية تؤصِّله وتُؤَهِّله إلى قراءة الكتب المطولة والشروحات، ولا يعكس الأمر، فإن مغبته كبيرة جدًّا عليه، قد تصل به إلى الخلط بين الأصول والفروع، وعدم الفهم المحكم للعلم.

لديَّ قدرةً على الأخذ والعطاء، ونفعني ما كنت أحفظُه من القرآن، وما أحفظه مِن شعرِ العرب، ونفعتني كذلك قراءتي المتنوعةَ المتعددة، فشعرت أنَّ هناك قدرةً يمكن من خلالها أن ينتفع الناس بها.

ومع أوَّل أيَّام التخرُّج، شرعتُ في قراءة كتب التفسيرِ، وكتب الحديثِ، وشيءٍ من كتب الفقهاء.

وكنت أَتردَّد على الحرمِ كثيرًا، وكان يمتلئُ بالعلماء؛ منهم: الشيخ أبو بكر الجزائريُّ، والشيخ عطية محمد سالم، والشيخ عبدالقادر شَيْبَة الحمد، وأدركتُ الشيخ حماد الأنصاري، وحضرت بعض مجالس الألباني لما جاء المدينةَ[1].

هذا كلُّه ولم أبدأ في الظهور للناس، ولكنَّني كنتُ أُصلِّي مع جماعة المسلمين في المسجدِ، ولم يخطر في بالي يومًا ما أَنَّني أُريدُ أَن أُصبحَ إمامًا، وإن كانت رغبةً ملحةً في الصدر، ولكن هذا من رحمة الله بي، فلقد رزقني الله -عز وجل- منذ الصِّبا الهدوءَ، والعقلَ، ومعرفةَ الأشياء.

حتى إذا جاء عام (١٤٠٧هـ)، وتغيَّبَ الإمامُ، وتغيَّب المؤذِّنُ في مسجد السَّلام بجوار بيت الوالد حفظه الله، وحانت صلاةُ العشاءِ،

---

(١) انظر ملحق التراجم المزوَّد بالصور (ص٨٥).

وكنت -بفضل الله عليَّ ومنَّتِه- أحرص على الصلاة خلف الإمام دائمًا.

وأذكر أنَّ جارًا لنا -وكان أستاذًا لي في الابتدائية، اسمه: فهد بن إبراهيم- قدَّمني، وطلبت منه أن يتقدَّم هو؛ فقدَّمني، فصلَّيتُ بالناسِ العشاءَ، وأذكر أنَّني قرأتُ عمدًا قولَ الله -جل وعلا-: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]، وكنت أُرَدِّدُها كثيرًا، وقصدتُ بها: أنَّها بدايةُ تمكينٍ[1].

ثم إنِّني صليتُ العشاءَ، ولما جاءَ الوالدُ -وكان يُصلِّي بالحرم- عَلِمَ بما حدثَ، فكأنَّه رغب ألَّا أعودَ لهذا؛ خوفًا عليَّ، ثم كَثُرَ غيابُ الإمامِ بسبب عملِه، فتقبَّل الناسُ تَقدُّمي.

ولما كان الإمامُ مسافرًا في الصيف في عملٍ، اشترطتْ عليه إدارةُ الأوقافِ أن يأتي بإمامٍ، فلما استشار الناسَ: أشاروا عليه أن يكون (صالحًا)؛ لأنَّهم يحبون أن يسمعوا صوت الشيخ عبد العزيز بن صالح، هذه هي القضية؛ فقبلتُ، وكان هذا في أواخر (١٤٠٧هـ) وأوائل (١٤٠٨هـ).

وفي نهاية نفس الأسبوع؛ فاجأتُ الناسَ وألقيتُ درسًا مِن غيرِ

---

(١) قالها يوسف -عليه السلام- عندما مكَّنَه الله -عز وجل- في الأرض، وعلَّمه من تأويل الأحاديث.

ورقةٍ، والناسُ لا تعرف عنِّي شيئًا علميًّا؛ لأنَّني بالنسبة لهم جارٌ، والسببُ: أنَّ الحيَّ جديدٌ لا يَعرفُ الناسُ فيه بعضَهم، والمسجد له أقل من عام، والعقل يمنعك أن تبادر الناسَ بعلمك حتى يخلق الله الفرصة.

فوقع هذا الأمرُ، وتقدَّمتُ بالناس ثم جلستُ، وأذكر أنَّني درَّست لمدة (٢٠) دقيقة، ثم التزمت هذا الدرس قرابة (٢٠) سنة، وكان هذا بعد صلاة العصر يوم الخميس من كل أسبوع.

ثم إني عينت خطيبًا في نفس الجامع، فلما خطبت بهم زادت قناعة الناس بي، وهم يَرونني لأول مرَّة خطيبًا، وكان هذا في (١٤٠٨هـ).

وكان الأمرُ بالنسبة لي أمرًا سهلًا؛ لأنني جلست في الكويت، وتكلَّمت أمام أقرانٍ ليسوا عوام، في الأدب واللغة والشعر، وكنت الوحيد الذي تكلم من غير ورقةٍ، فلما وقفتُ أمامَ هؤلاء؛ كان أمرًا سهلًا؛ لأنني كنت أتكلَّمُ في كلية الحقوق، وأمام مُحكِّمين وجمهورٍ من رجال ونساء، والعاقل لا يتكلم إلا بما يُحسِنُه، وهذه نقطة مهمة حتى لا يَدخُلَ الإنسانُ في معضلات الأمور، ولا يدخل في شيء لم يصل إليه بعد.

ثمَّ التزمتُ التحضيرَ الجيِّدَ لدرس الخميس، حتى يزدادَ من الناحية العلمية، ولم أكن قد فعلتُ شيئًا سوى كشفِ وجهي الثقافي

للناس، وكنت أُنوِّع للناس في درس الخميس.

وفي عام (١٤١٣هـ) بدأتُ في إلقاء درس رسميٍّ في التفسير، والسببُ: أنَّ درس الخميس لم يكن مصرحًا، حيث إني كنت أُلقيه بعد صلاة العصر للمصلِّين في الحيِّ بصفتي إمامًا للمسجد، ولم تكن الأوضاعُ تحتمل شيئًا من التشدُّد، ثم احتاج الأمر إلى إذنٍ، فقلتُ: بما أبدأ؟ وكنت على يقين أن ما سأبدأ به سأنتهي به، فلم يكن أمامي فيما يرى الرائي سوى خيار أنني أملك -بتوفيق الله- بعض الإمكانيات في التفسير، فسألت الله ألا يجعلها فتنة، وسألت الله الإعانة.

وأذكر أنَّني جلستُ على الكرسيِّ، وبدأت دروسَ التفسير، وكان عمري يومئذ (٢٦) سنة.

ولم تكن الساحةُ مليئةً بأحدٍ يمكن أن يُقال عنه: مُفسِّر بمعنى الكلمة؛ لأنَّ الشيخ الأمين كان قد تُوفِّيَ، والشيخ أبا بكر نعم المفسِّر هو، لكنَّه كان يُراعي في تفسيره العامَّة، ويخاطب عامة المسجد، وهو مِن أدبه وتواضعه إذا حدَّث عن نفسه قال: الواعظُ بالمسجد النبوي.

فلم يكن هناك مَن يُدرِّس التفسيرَ بمعناه المعروف، حتى يمكن أن نقول: إنني أخذتُ التفسيرَ عنه، لكنِّي سعيتُ أن آخذَ مناهج الطرائق، بمعنى أنَّني أخذتُ من الشيخ سالم عطيَّة شموليَّته، فكان يأتي للمسجد، ويناقش بطريقة شموليَّة، وأعجبتني الطريقة، لكن

بعد ذلك كلُّ ما أستطيع قولَه في هذا اللقاء -أو غيره-: العلمُ نورٌ، يَقذِفُه اللهُ في قلبِ مَن يشاء.

* * *

فضيلة الشيخ:

مَن هُم أَبرزُ المشايخِ الذين تلقَّيت عنهم العلمَ الشرعيَّ؟

دراستي الجامعية كانت في تخصص اللغة العربية، وقد درست القرآن على يد الشيخين محمد محاوي، والشيخ الزغبي، ودرست على يد الشيخ قاسم الدوجي في الجامعة، وفي الحديث درست على الشيخ عمر حسن فلاته، وهو ما زال يُدرِّسُ في الحرم، والشيخ شعبان محمد إسماعيل، وكنت أحضر بعض دروس الشيخ ابن عثيمين في العشر الأواخر في الحرم المكي.

* * *

فضيلة الشيخ:

بماذا خرج الشيخ صالح بعد مُدَّة ليست باليسيرة في التجول بين أسرار كتاب الله عز وجل؟

خرجتُ بأنَّه لا يمكن أن يكون هناك خيرٌ لم يرشد إليه القرآن، وليس هناك شرٌّ لم يُحذِّر منه القرآن، كُلُّ شيءٍ في القرآن، فقِهَه مَن فَقِهَهُ وجَهِلَه من جهله، وأنا أتكلم عن أصول الأشياءِ لا عن تفصيلاتها.

فضيلة الشيخ:

أخبرنا: ماذا أَعطاكَ القرآنُ؟

أرجو مِنَ اللهِ وحده أن أُرزقَ به الجنَّةَ.

* * *

فضيلة الشيخ:

أَمضيتَ سنينَ عدَّة في إمامةِ المساجد في المدينة النبوية، هل لهذا مِن أثرٍ في علاقة الإمام بكتاب الله -عز وجل- حفظًا، وتَدبُّرًا، ومراجعةً؟

بلا شك، إنَّ الإمامةَ تفتحُ أَبوابًا عظيمةً لصاحبها، إن فَقِه معنى الإمامة الحق، فإن فقه الإمامة الحق يَنجمُ عنه أن يَفْقَه المؤمنُ أَنَّ أعظمَ مطلوبٍ يُريدهُ الإمامُ ممن يستمع له: أن يُعظِّم الله، فإذا وقع هذا بين عينيه، وحَمَلَ همَّ أَن يُعظَّمَ اللهُ في المسجد الذي هو إمامُه، كان بديهيًّا أن يعلم: أَنَّه لا سبيل لتعظيمِ الله إلا بفقه مرادِه، ولن يَفْقَهُوا مرادَ الله إلا عن طريق كلام الله -جل وعلا-، فإذا فَقِهَ هذا: انصرف للقرآن، يختارُ منه ما يُعين العباد على طاعة ربِّهم، وأقول: يختار؛ لأَنَّه ليس كلُّ شيء في القرآن يمكنُ تدريسه للعامَّة.

فمثلًا: الغوصُ في آيات الأحكام أمامَ العامة لا ينفعهم كثيرًا؛

لأنَّهم هم على أسوإِ أحوالهم إذا اضطرب لهم أمرٌ؛ لجؤوا لأهل الفتوى فسألوهم، لكن تبقى الأمورُ التي لا فتوى فيها، وهي الأمور التي تُهذِّبُ القلوبَ، وتُطَمئِنُ النفوسَ، وتُرشد إلى الخير بعمومِه، وتُحذِّرُ مِنَ الشرِّ بعمومه، هذه كلُّها يُعَرِّجُ عليها الإمامُ مِن خلال تَدَبُّرِه لكلام الله -جل وعلا- وتفسيره إياه، ثمَّ ينقُلُها للناس كرسالةٍ مِن أعظمِ رسائل المسجدِ.

* * *

فضيلة الشيخ:

بعد رحيلك مِن هذه الدنيا بعد عمر طويلٍ في طاعة الله، ما الشيء الذي تتمنَّاه؟

لا أَتمنَّى أكثر من السَّتر.

* * *

فضيلة الشيخ:

هل تَمنَّيت أن يَحذو حذوَك أحدُ أَبنائك، أو أحد أقربائك؟

مَن أُحبُّه أتمنَّى له أكثر مما أتمنَّى لنفسي، لكنِّي جلست ذات يومٍ بجوار رجلٍ كبيرٍ، وذكَّرني بمحبَّته لي -جزاه الله خيرًا-، وقال لي: يا بُنيَّ، إنَّ السعيدَ في هذه الدنيا مَن يخرجُ منها مستورًا.

واللهِ، لقد وقعت هذه الكلمة مني كلَّ موقعٍ، المهم الستر، من

أراد الله به خيرًا ستره.

* * *

فضيلة الشيخ:

هل أوصاكَ أحدٌ وصيَّةً انتفعتَ بها حولَ القرآنِ، وتَدبُّرِه، وتفسيرِه؟

لا أعلمُ وصيَّةً أوصاني بها أحدٌ بالمعنى الحرفيِّ الذي تريده، لكن: ما وعظني أحدٌ مثل رجلٍ صلَّى ورائي في قباء وأنا لا أَعرِفُه، وكان الله قد وفَّقني في الخطبة، ثم أقبل عليَّ الناسُ يُسلِّمُونَ محبَّةً، فقال لي: إن كانت سَرِيرَتُكَ مثل علانيتك؛ فهنيئًا لك، ومضى.

فوالله، ما وعظني أحدٌ بأَمْثَلَ مِن هذا.

فالذي يُريد أن يُؤدِّبَ أحدًا يُؤدِّبُه بهذه الطريقةِ؛ بمعنى: أنه لا يخدش باب الحياءِ، ولا يَقْرَبُ بابَ الأدب، فكان ناصحًا أمينًا، وإلى الآن أتذكَّر كلماتِه تلك.

* * *

فضيلة الشيخ:

هل استعصت عليكم سورةٌ معيَّنة في حفظِها أو فهمها ، ثمَّ يسَّرها اللهُ تعالى لكم؟

نعم، في الحفظ: سورة النساء، وفي الفهم: لا توجد سورة

بعينها، ولكن بعض آيات ما زلتُ لا أَفهَمُها؛ منها:

* قول الله -جل وعلا-: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:٥٩].

* وقول الله -جل وعلا- في سورة النساء [١٥٩]: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾، ما زِلتُ مُتوقِّفًا فيها.

* وقول الله جل وعلا: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق:٧]، قد ذكر المراغي فيها ستة وثلاثين قولًا، وليس فيها قولٌ مُقنع.

هذه من الأشياء التي استعصت عليَّ.

* * *

فضيلة الشيخ:

آيةٌ تَستَوقِفُكم، وتُحبُّون أن تَعرِضُوا على القارئ بعضَ معانيها؟

أنا لا أُؤمِنُ بهذا؛ لأنَّ كلَّ موضوعٍ في القرآن له عالَـمُه، قد يُقبَلُ سؤالُك في غير القرآن، فالقرآنُ عظيمٌ كلُّه، ولا يكون فيه مسألةُ انتقاءٍ، لكنِّي أُحبُّ المجالاتِ التي تكون الأشياءُ بها غيرَ ظاهرةٍ؛ مثلًا:

يقولون: إنَّ إبراهيمَ -عليه السلام- لما قال له الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٧٥]، جاءَته الريحُ

والشمسُ والماءُ والحيَّةُ، فقالوا له: اشفعَ لنا عند ربِّكَ، فقالت الشمس: تَعِبْتُ من كثرة السير، وقال الماء: أُريد أن أستقرَّ، تَعِبْتُ من كثرةِ الجريانِ، وقالتِ الريحُ: تَعِبْتُ مِن كثرةِ التنقُّل، وقالت الحيَّةُ: أريد جناحين، أُريد أن أَطير.

فقَبِلَ خليلُ الله أن يشفعَ لهم، فلما همَّ أن يشفعَ؛ جاءَه الخفَّاشُ، فقال له: لا تشفع يا نبيَّ الله، فإنَّ الشمسَ لو لم تَجْرِ؛ لفسدتِ الحياةُ، وإن الماءَ لو لم يجر لفسد، وإنَّ الحيَّةَ وهذا أذاها؛ فكيف إذا طارت، وإن الريح لو لم تتحرَّك لما لقحت ثمرًا، ولما أثارت سحابًا.

فلما قال له ذلك؛ علمتِ الشمسُ والماءُ والريحُ والحيةُ بما قاله الخفَّاش، فكلٌّ توعَّده، فلجأ إلى ربِّه، فقال له ربُّه:

أما الشمسُ؛ فلا أكتبنَّ لك خروجًا إلا بعد غروبها، فلذلك لا يخرج في النهار.

وأما الريحُ؛ فلا أجعل جناحك ريشًا كغيرك، أجعله لحمًا، فلذلك لا تضرُّه الريحُ.

وأما الحيَّة؛ فأجعل ما يخرج منك سمًّا عليها، فلذلك لا تقترب منه.

وأما الماء؛ فسأجعل لك ثديين أغنيك عنه، فلذلك هو معدود في الثديات، وهذا الذي يُجمع في الخفَّاش لا يُجمع في غيره.